Migration Paths: A Study of Migration Transformations in the Moroccan Rif between Natural Challenges and the Impact of Colonial Policy (1852-1956)

PhD. Taoufik DERRAZI

Faculty of Letters and Humanities - Aïn Chock
Hassan II University, Casablanca- Morocco

Science Step Journal / SSJ

December 2023/Volume 1- Issue 3

DOI: https://doi.org/10.6084/m9.figshare.24922206

To cite this article: Derrazi, T. (2023, December). Migration Paths: A Study of Migration Transformations in the Moroccan Rif between Natural Challenges and the Impact of Colonial Policy (1852-1956). Science Step Journal, I(3), 149-159. ISSN: 3009-500X.

Abstract

The article examines significant transformations in the migration structure of the Moroccan Rif region during the contemporary period, shedding light on the considerable impacts imposed by natural factors and colonial policies as major challenges. In addition, it analyzes the crucial influence of climatic changes that compelled the population to leave their homes in search of better living conditions. The article provides a detailed analysis of the effects of colonial policies on migration patterns, illustrating how they contributed to transforming it from a seasonal to a permanent phenomenon.

The article aims to fill gaps in previous research and highlight aspects that have not been addressed. It delves into examining the natural and political factors that influenced migration paths, adding a layer of understanding through detailed analysis of the impact of colonial policies. Presenting historical context means connecting migration to historical transformations in the region, enhancing a comprehensive understanding of the phenomenon.

Keywords:

Migration Paths - Migration Transformations - Moroccan Rif - Natural Challenges - Colonial Policy

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

مسارات النزوح: دراسة في تحولات الهجرة بالريف المغربي
بين التحديات الطبيعية وتأثير السياسة الاستعمارية (1852 – 1956)

توفيق الدرازي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية –عين الشق،
جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء – المغرب

ملخص:

يستعرض المقال تحولات هامة في هيكل الهجرة بمنطقة الريف المغربي خلال الفترة المعاصرة، مسلطًا الضوء على التأثيرات الكبيرة التي فرضتها العوامل الطبيعية وسياسة الاستعمار كتحديات رئيسية. فضلا عن تحليل الأثر الحاسم للتغيرات المناخية التي دفعت السكان نحو ترك منازلهم بحثًا عن ظروف حياة أفضل. كما يقدم تحليلاً دقيقًا لتأثيرات السياسة الاستعمارية على نمط الهجرة، موضحًا كيف أسهمت في تحويلها من ظاهرة موسمية إلى دائمة.

يروم المقال إلى ملء فراغات في الأبحاث السابقة وإلقاء الضوء على جوانب لم تتناولها. كما يتعمق في فحص العوامل الطبيعية والسياسية التي أثرت في مسارات الهجرة، حيث يضيف التحليل المفصل لأثر السياسة الاستعمارية طبقة أخرى من الفهم، وتقديم السياق التاريخي يعنى بالربط بين الهجرة والتحولات التاريخية في المنطقة، مما يعزز الفهم الشامل للظاهرة.

كلمات مفتاحية:

مسارات النزوح - تحولات الهجرة - الريف المغربي - التحديات الطبيعية - السياسة الاستعمارية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

مقدمة

تعد الهجرة من المواضيع التي استلهمت اهتمام مجموعة من الباحثين على اختلاف ثقافاتهم وجنسياتهم، بحكم تعدد أبعادها واختلاف أسبابها وتنوع نتائجها وانعكاساتها من منطقة لأخرى، الشيء الذي راكم مجموعة من الأبحاث والدراسات التي وإن اختلفت في طريقة مقاربتها فإن قاسمها المشترك، كان البحث في الأسباب والعوامل التي خلفت الظاهرة.

ساير الباحثون المغاربة هذا الموكب، وخصصوا حيزا مهما من اهتماماتهم لموضوع الهجرة، حيث افتتح في كلية الآداب والعلوم الانسانية ببني ملال ماستر " الهجرة الدولية المجال والمجتمع" ، وماستر آخر بكلية الآداب والعلوم الانسانية بمكناس تحت عنوان "تاريخ الهجرات والتحركات السكانية في حوض البحر الأبيض المتوسط"، الأمر الذي من شأنه أن يغني الساحة الفكرية بالمغرب بدراسات تعنى بموضوع الهجرة.

ولم تكن منطقة الريف بمعزل عن هذه الطفرة المعرفية، حيث شكل هذا الموضوع أرضية خصبة للبحث، خاصة خلال الفترة الاستعمارية، والتي عرفت فيها المنطقة مجموعة من الهجرات، كان أهمها اتجاه الجزائر .وقد حظيت هذه الأخيرة باهتمام نخبة من الباحثين، إذ في هذا السياق، يأتي هذا المقال الذي أردت من خلاله البحث والتقصي في التحركات السكانية التي عرفتها منطقة الريف خلال الفترة الاستعمارية، عبر التطرق لجوانب غابرة من هذا الموضوع لم تشملها أقلام الباحثين، علاوة على ابراز الدور الحاسم للعوامل الطبيعية، مثل الجفاف وتغيرات المناخ، في تشكيل مسارات النزوح .كما يقدم تحليلاً مفصلاً لكيفية تأثير السياسة الاستعمارية على نمط الهجرة، ويساعد على فهم السياق التاريخي للهجرة في علاقتها بالتحولات التي عرفتها المنطقة.

من هذا المنبر، يمكن لنا طرح التساؤلات التالية : ماهي أهم الهجرات التي عرفتها منطقة الريف؟ وما الأسباب والعوامل التي أفرزتها ؟ وأين تتجلى خصائصها ونتائجها فضلا عن التغيرات التي طرأت عليها ؟

1- الهجرة الخارجية " نحو الجزائر"

1.1. من منتصف القرن 19 إلى سنة 1912 م

لم تسعفنا المصادر لإعطاء تاريخ محدد لبداية الهجرة الريفية نحو الجزائر، إلا أن أول إشارة حول هذه الهجرة أوردها الرحالة الفرنسي هنري دوفيريي Henri duveyrier "**في 18 نونبر من سنة1852 ، استولى الإسبان على مركب للسلع في ملكية القلعيين كان متوجها إلى وهران، حيث يذهب عمال هذه القبيلة لكراء سواعدهم لدى المعمرين خلال فترة الحصاد" .**

رغم ذكر هنري دفيريي لسنة 1852 كتاريخ لهاته الهجرة، إلا أنها أقدم من هذا التاريخ، نظرا لكون هاته السنة تؤرخ للإستيلاء على المركب، أما بداية الهجرة فيعود لفترة سابقة، والتي يمكن حصرها بين سنتي1830 م، تاريخ احتلال فرنسا للجزائر، و1852م، التي كان فيها المهاجرون الريفيون يعملون عند المعمرين، وهذا ما أورده هنري دوفيري « **...لكراء سواعدهم لدى المعمرين** ».

يتضح لنا أيضا، من خلال هاته الإشارة، ورود معلومة قيمة تتعلق بنوعية وخصائص هاته الهجرة مفادها أنها كانت هجرة مؤقتة لفترة محددة من الزمن، وذلك خلال فترة الحصاد، أي هجرة موسمية وليست دائمة، وما يزكي هذا الطرح ما ذكره أوغست موليراس

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

«يمكن أن نراهم الريفيون كل سنة بعمالتنا خلال موسم الحصاد أو جني الكروم» « فالريفي يأتي عندنا فقط كي يربح خلال شهرين ما يكفيه للعيش برخاء طول السنة دون القيام بأي عمل ».

تخللت هاته الهجرة أعمال أخرى كان يقوم بها الريفيون، من قبيل بيع المنتجات الفلاحية المحلية، وخاصة الأبقار والبغال، في أسواق للا مغنية وتلمسان، ويجلبون في المقابل جلب مواد استهلاكية من قبيل، الصابون واللبن والشاي وما كانوا يحتاجون إليه .

شكل المسلك الرابط بين مليلية ووهران الطريق الذي اقتفاه الريفيون في الهجرة ذهابا وإيابا، وذلك ابتداء من القرن19 ، حيث نجد بين طيات تقرير القنصل الإسباني بوهران سنة 1855، أن أهالي القبائل المجاورة لمليلية يتوجهون إلى الحاكم العام بطلب السماح لهم بحرية الملاحة على متن سفنهم الخاصة المتنقلة ما بين تطوان وحدود الجزائر، ويسلم الحاكم رخصة الملاحة وجواز السفر لكل سفينة مقابل 200 ريال لكل قارب، وريال واحد لكل جواز سفر للركاب المتوجهين إلى وهران، التي كانت تستقبل أكثر من 20.000 مهاجر القاصدين العمل لدى المعمرين.

خصصت وسائل الإعلام آنذاك ك"جريدة تلغراف الريف "حيزا مهما لهاته الهجرة، حيث نشرت في ملحقها الصادر باللغة العربية ليوم الأحد 9 ماي، ويوم الخميس 13 ماي من سنة 1909 مقال تحت عنوان "من الأرياف إلى وهران "جاء فيه « **يوم الخميس الجاري، تواردت علينا حمول من أهل الريف، فامتلأت المساحات الفسيحة، وتراكمت الزقاق، ووقع الإزدحام على الركوب في الباخرة التي تنقلهم لوهران، حيث ينتشرون في الأصقاع الجزائرية، ويتفرقون على الأماكن ليستأجروا على الحصاد، ولا يولون راجعين إلا بعد أن يستحصل كل واحد منهم خمسة عشر دورو فرنسية أو أقل، يدخل بها على أهله يشتكي وهن عظامه وما لقيه من التعب والمشقة، ومنهم من يرجع عليه العدة المذكورة دينها استلفها أيام السفر بين كراء المركب، ومأكله ومشربه، وهو لم يجد من يستأجره على تلك الخدمة بعد أن جال في الأقطار، وطاف أطراف البلاد، وقطع الفيافي والقفار.»**

يعطي لنا هذا المقال صورة واضحة حول الهجرة، ابتداءا بالعدد، حيث تم توظيف مصطلح حمول، وهو ما يدل على وجود أعداد هائلة من المهاجرين، أضف إلى ذلك الظروف الصعبة للتنقل على متن الباخرة نتيجة الإزدحام، وعند الوصول إلى وهران، يتفرق هؤلاء المهاجرون على كامل التراب الجزائري بحثا عن العمل، لتوفير مبلغ من المال ينسيهم مرارة الغربة، ووجع التعب والوهن، والمشقة التي لاقوها خلال فترة تواجدهم بالجزائر .في هذا الصدد، تختزن الذاكرة الريفية مقطعا شعريا، يشير إلى عودة المهاجرين إلى الديار مثقلين بالبضائع والهدايا.

غير أن هذا الواقع لا ينطبق على كل المهاجرين، حيث يتواجد بينهم من انطبق عليه المثل القائل عاد بخفي حنين، وذلك لرجوعه أدراجه خالي الوفاض لعدم إيجاد من يستأجره.

2.1. الفترة الاستعمارية (1912 -1956)

عرف المجتمع الريفي خلال هذه الفترة عدة تحولات، تعود في معظمها إلى المستعمر وسياسته التي انتهجها، فقد عمل في هذا الإطار على جلب معمرين إسبان وتمكينهم من الأراضي المستولى عليها، والتي بلغ حجمها في الجهة الشرقية 11.305 هكتار .كما استحوذت الشركات الإسبانية على مساحات شاسعة من أراضي الريف الخصبة، ويتعلق الأمر بالشركة الاستعمارية الإسبانية التي سيطرت على 27ألف هكتار من أراضي سهل **كرط** .وفي سنة 1915، اقتطعت لصالحها ألفي هكتار من الأراضي الموجودة بجبل أعروي .

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

تأزم الوضع في الريف مع غياب تام لفرص الشغل، فرغم استيلاء المعمر الإسباني على معظم وأجود الأراضي الزراعية، إلا أنه لم يخلق أي فرص شغل تذكر، الشيء الذي زاد من حجم البطالة .وحتى إن توفرت، فإن الأجور لم تكن في المستوى الذي يساعد على مواجهة مصاريف الحياة، فهزالة الأجور التي كانت تتراوح بين ثلاثة وخمسة بسيطات، لا تغني ولا تسمن من جوع.

ومما زاد من تفاقم هذا الوضع، انتشار الجوائح الطبيعية التي عصفت بالمنطقة، والمتمثلة في الجفاف الذي ضرب المنطقة لسنوات عديدة 1945-1941-1934-1933-1930-1925 وما واكبه من تفشي المجاعة والبؤس والفقر، مما أدى إلى تشرد أكثر من مائتي امرأة وطفل وعجوز، بالإضافة إلى وفاة العديد من الأشخاص رغم دخولهم للمستشفيات نتيجة قلة الطعام.

علاوة على هاته المعاناة، فرضت السلطات الاستعمارية على المهاجر التوجه إلى المكاتب الإدارية للحصول على ورقة صالحة لمدة سنة مقابل بسيطة، وإجبارية حيازة بطاقة تدعى (Tarjeta de Identidad بطاقة التعريف (قيمتها تتراوح ما بين بسيطة وثلاث بسيطات، زيادة على الوثائق المطلوبة) جواز السفر – عقد العمل .(...وفيما يخص المعابر الفرنسية، فقد كانت هي الأخرى قد نهجت إجراءات معقدة على المهاجرين، من قبيل الخضوع للرش بالمبيدات لإزالة القمل، إضافة إلى التلقيح من الأمراض المعدية، مما يبين درجة البؤس التي وصلت إليها ساكنة الريف .

أدت الإجراءات السالفة الذكر إلى هجرة العديد من الساكنة سرا، ففي رواية شفهية أوردها ريموند بوسار Raymond Bossard نجد «**أنا من قبيلة تمسمان، هاجرت إلى الجزائر سنة 1945 مشيا على الأقدام وأنا في سن الخامسة عشر، وقد استغرقت رحلتي حوالي أسبوع تنقلت من خلالها عبر مختلف المناطق الشرقية قبل أن أصل إلى الحدود الجزائرية، وبعد أن دخلت بشكل سري، استقرت في ضواحي وهران ..».**

عرفت هذه الفترة توافد جموع هائلة من المهاجرين الريفيين على الجزائر يصعب تحديد أعدادها بالضبط، فرغم الأرقام التي ذكرها الباحث ميمون أزيزا، والتي انحصرت أواخر القرن 19 في20.000 ، واستخلصها مما أورده أوغست موليراس في كتابه Maroc Inconu Le، وانتقال هذا العدد إلى حوالي 80 ألف خلال سنوات الجفاف والمجاعات التي اجتاحت الريف خلال أربعينات القرن20 ، هذا المعطى يؤكده المتن الشعري حيث يخبرنا على كون الجزائر أضحت مليئة بالمهاجرين الريفيين الذي قصدوها واحدا تلو الآخر، مشبها إياهم بالطيور المهاجرة، غير أن هاته المعطيات توضح لنا فقط صورة تقريبية ونسبية حول الأعداد المهاجرة لاستحالة إعطاء أرقام مضبوطة، حيث شهدت هاته الفترة كثرة الهجرات السرية.

تغيرت خصائص الهجرة خلال هذه الفترة، فبعدما كانت في السابق هجرة موسمية خلال فترات الحصاد، كما تطرق إلى ذلك أوغست موليراس، أضحت الآن فرارا من جحيم الريف، وهجرة دائمة بالنسبة إلى العديد من الأشخاص الذين هاجروا بصحبة أزواجهم وأولادهم، أو بالنسبة إلى الذين هاجروا بمفردهم وتزوجوا هناك من جزائريات.

لذلك فالأسر الريفية التي توجهت صوب الجزائر عانت الأمرين في ترحالها، غير أنه كيف ما كان الحال، أقل حدة مما خلفته وراءها في الريف، لذلك فإنها في هذه الحالة، ينطبق عليها المثل المتداول في الأوساط المصرية " إيه اللي رماك على المر، اللي أمر منو". فرغم الظروف الصعبة والقاسية التي لاقتها الأسر الريفية أثناء تنقلها، والمصير المجهول الذي ينتظرها، إلا أنها أخف وأقل حدة من التي لاقوها وعايشوها وفروا منها في الريف .

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

2. الهجرة الداخلية

1.2. الهجرة إلى منطقة زرهون

ترجع أولى بوادر الهجرة إلى فترة سابقة من توقيع معاهدة الحماية سنة 1912 ، وبالضبط، بعد حرب تطوان سنة1859، حيث كان الفرار من أعمال الثأر الدموية التي كانت عرفا ساريا في الريفوما يصاحبها من أعمال القتل، إحدى العوامل الرئيسية التي دفعت بالعديد من السكان إلى الهجرة، وذلك نتيجة كثرة النزاعات .فعند وقوع أي عملية قتل، فإن عائلة الضحية لن يغمض لها جفن حتى تثأر لمقتله، وقد يكون هذا الثأر بين أفراد المدشر الواحد، أو بين مدشر وآخر، لهذا فإن الشخص المستهدف يلوذ بالفرار، ومن الأمثلة الحية على ذلك عائلة المحاسني، التي وطئت أقدامها منطقة زرهون رفقة العديد من العائلات الأخرى الوافدة من مختلف مناطق وقبائل الريف لنفس السبب السالف الذكر.

ستشكل هذه العائلات النواة الأولى للساكنة ذات الأصول الريفية المستقرة بمنطقة زرهون، والتي ستتوافد عليها أفواج أخرى خلال فترة الحماية، نتيجة استيلاء المعمر على أجود الأراضي من جهة، والجفاف الذي ضرب المنطقة في سنوات عديدة من جهة أخرى، وانعدام الأمن الذي فتح المجال أمام مصراعيه للنهب والسرقة التي كانت تتم بشكل جماعي، وتستهدف كل من يتوفر على مخزون من المحاصيل الزراعية والماشية .

اختارت العديد من الأسر الريفية وجهتها صوب منطقة زرهون على اعتبار وجود دراية مسبقة لديهم بمؤهلات هذه المنطقة، حيث توجهت كل عائلة إلى أحد أقاربها المستقرين في هاته الرقعة الجغرافية، ومن بينها عائلة والد محمد شجاع المسمى عبد السلام بن عودة، التي هاجرت خلال فترة الاستعمار الإسباني.

تتوافق روايات هؤلاء فيما يخص وضعية منطقة زرهون، بكونها أرضا خلاء آنذاك، أي أن المهاجرين الأوائل الذين قصدوا المنطقة وجدوا بأن الأراضي لم تكن في ملكية أحد، الشيء الذي ساعدهم على الاستقرار وممارسة بعض الأنشطة المدرة للدخل، كالفلاحة المعيشية أو العمل في الفلاحة عند بعض الأسر الميسورة الحال .أما الذين التحقوا بالمنطقة خلال فترة الحماية نتيجة للوضعية الكارثية التي عرفتها منطقة الريف، فكانوا يطلبون من السكان المستقرين بها مساحة من الأرض لتشييد منازل يأوون إليها، أما إذا رفض أصحاب الأرض إعطاء المهاجرين مساحة من الأرض، فإنهم يقومون بالإستيلاء عليها عنوة، مما يفيد أن هؤلاء اتسمت هجرتهم باللا عودة أو الاستقرار الدائم، والتي خلفت وراءها الأحزان نتيجة تفريقها لأفراد العائلة الواحدة وللأبد.

استقر المهاجرون الأوائل في مدشر يدعى بني مرعاز، وهو الذي مازال يعيش فيه إدريس وأخوه محمد المحاسني، ومن هذا المدشر تفرعت باقي المداشر الآهلة بساكنة الريف، جميعها آهلة بساكنة الريف، ويتحدثون بطلاقة أمازيغية) الريفية (تلك المنطقة، لدرجة أنك لن تجد أي فرق يذكر، ولو كان طفيفا، في لهجتهم مع لهجة المستقرين بالريف، وهذا ما لاحظته واستنتجته من خلال تواصلي معهم بالريفية، حيث لم ألمس أي اختلاف يذكر في لهجتهم، إضافة إلى كونهم يحبذون التواصل بها، وأغلبهم يحمل لقبا يعود إلى القبيلة أو المدشر الذي ينتمي إليه في الريف، فالمحاسني نسبة إلى بني محسن ضواحي منطقة ميضار، والعمارتي نسبة إلى بني عمارت ضواحي إقليم الحسيمة .

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

عاش هؤلاء المهاجرون فترات عصيبة بفعل فترات المجاعة والجفاف التي اضطرتهم إلى الهجرة، وكذا ظروف التنقل إلى الموطن الجديد والإستقرار به، وما يتطلب من مجهودات لإقامة مسكن وتوفير لقمة العيش، ثم التعود على الإقامة الجديدة بعيدا عن موطن الولادة وذكريات الطفولة، وبعيدا عن عائلاتهم في الريف .

لم تقف معاناة هؤلاء عند هذا الحد، إذ عند عودتهم إلى موطنهم الأصلي، كانوا يهددون بالقتل إذا طالب أي منهم بنصيبه من ميراث الأرض، على اعتبار أن كل من هاجر ليس من حقه المطالبة بشيء، ومن ثم، يتم طردهم من موطنهم كأنهم غرباء .هاته الأمور، دفعت بالعديد من المهاجرين إلى إحداث قطيعة مع الريف، وتوصية أبنائهم بعدم الذهاب إليه، بل وصل الأمر بهم إلى درجة تهديد الأبناء بالعقوق إن هم قرروا الذهاب إلى الريف، الشيء الذي ساهم في عزوف عدد كبير من ساكنة هذه المنطقة عن زيارة المنطقة رغم تقدمهم في السن .

2.2. الهجرة من المنطقة السلطانية إلى الخليفية

تزامنت هاته الهجرة مع انطلاق عمليات جيش التحرير ضد القوات الفرنسية المتمركزة بمنطقة مثلث الموت ابتداء من 2 أكتوبر 1955، الشيء الذي فتح المجال على مصراعيه لصراع دموي لخصته إحدى نساء المنطقة بكل حسرة **" كم من الأرواح ستزهق في هذه المعارك"**، معارك ستأتي على الأخضر واليابس، لن تفرق فيها الآلة الحربية الفرنسية بين الشخص المقاوم ونظيره المدني، ولا بين النساء والأطفال .

في هذا الصدد، فرض هذا الوضع المتأزم على الأسر الريفية المستقرة في المناطق التابعة لفرنسا الهجرة فرارا بجلدهم وإنقاذا لأرواحهم وأرواح أبنائهم، ففي ليلة 2 أكتوبر 1955 ، انطلقت قوافل من الريفيين تباعا من قبيلة اكزناين (اكزناية)، في اتجاه المناطق الخاضعة لإسبانيا، حيث تفرقت جميع أفخاذ القبيلة السالفة الذكر على القبائل التابعة للمنطقة الخليفية الواقعة على الشريط المحاذي للمنطقة الفرنسية، مثل قبيلة مطالسة وبني بوياحيى، مرورا بثلاثاء أزلاف وقاسيطة، وبني بوعياش، آيت حذيفة وبني اعمارت .

تضامن ساكنة هذه القبائل مع المهاجرين الوافدين إليهم، وذلك بتوفير قدر المستطاع كل ما يحتاجون إليه من مسكن وطعام وأغطية، في حين كان بعض المهاجرين يتسللون سرا بالليل إلى مساكنهم لجلب بعض المؤونة لأسرهم، صحيح أن ساكنة هذه المناطق استقبلتهم بصدر رحب ووفرت لهم بعض المساعدات، إلا أنها كانت غير قادرة على إعالة هذه الجموع، لهذا يمكن القول إن تلك المساعدات عملت فقط على التخفيف من معاناتهم .

تراوحت الفترة التي قضاها المهاجرون بالمنطقة ما بين 7 إلى 8 أشهر، أي من شهر أكتوبر 1955 إلى شهر أبريل أو ماي1956 ، عانوا خلالها الأمرين من قساوة فصل الشتاء القارس وما صاحبه من أمراض، إضافة إلى وضع العديد من النساء أطفالا إبان هاته الفترة، مما ساهم في تكاثر عدد من الأطفال حديثي الولادة بين المهاجرين . كل هذه الصعوبات فرضت على هؤلاء التكيف مع الواقع المعاش، حيث اندمجوا مع ساكنة المناطق المستقبلة، وعملوا إلى جانبهم في الزراعة والغرس لتوفير لقمة العيش، وقد استمر الوضع على ما هو عليه حتى وضعت الحرب أوزارها، وعاد هؤلاء المهاجرون إلى مساكنهم .

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

3. الانعكاسات الناجمة عن الهجرة الخارجية

1.3. الانعكاسات الإيجابية

ساعدت الهجرة إلى الجزائر الأسر الريفية على تحسين وضعها المادي، فقد بلغت عائدات المهاجرين المالية الواردة إلى الريف سنة 1932حوالي 50 مليون فرنك. وفي سنة 1950 قدر المبلغ الذي يعود به كل عامل إلى قبيلته بحوالي 27.000 فرنك، على أساس تقاضيه أجرا يوميا يقدر بـ 300 فرنك .

أدى تداول هاته النقود إلى زيادة القدرة الشرائية للسكان، وتحسن المستوى المعيشي، وظهور أنماط استهلاكية جديدة، إذ أصبح الريفي يستهلك لأول مرة منتجات جديدة بواسطة الأموال التي يجلبها معه. في هذا الصدد، يشير دوشو Dechaud إلى أن « **المغاربة الذين كانوا في البداية لا يشترون إلا المنتجات الضرورية، أصبحوا يتطلعون إلى شراء حاجيات جديدة بفضل المال الذي يأتون به من خلال عملهم بالجزائر، لقد رأوا قوتهم الشرائية ترتفع.** »

اكتسبت ساكنة الريف، عبر عملها في الجزائر، مهارات وتقنيات جديدة في ميدان الشغل، خاصة ما تعلق منها بتقنيات العمل الزراعي والأنماط العصرية لثقافة التنظيم .كما أن تواصلها مع الجزائريين والمعمرين الفرنسيين والعمال الأخرين من ذوي الجنسيات المختلفة، ساهم في تفاعلها واحتكاكها وانفتاحها على أنماط مختلفة من القيم والتصورات والعادات والأذواق والتقاليد وعن طريق هاته الهجرة أيضا، وصلتنا تأثيرات عديدة تخص الموسيقى والغناء والرقص واللباس والمطبخ واللغة.

خلفت هاته الهجرة تواصلا بين الريفيين والاقتصاد الاستعماري عن طريق العمل لدى المعمرين الفرنسيين، وبالتالي الإنفتاح على أول أشكال العمل المأجور، إضافة إلى تغيير في أنماط العلاقات الاجتماعية على مستوى المجتمع القبلي الريفي، إذ أدت إلى تغيير الدور الاجتماعي للمرأة بخروجها للعمل في الحقول والتردد على الأسواق لتلبية حاجاتها والتوجه إلى التحرر النسبي في وظائف هاته الأخيرة.

2.3. الانعكاسات السلبية

أحدثت الهجرة نزيفا ديمغرافيا في الريف سهل من مأمورية السلطات الاستعمارية التي عملت بدورها على تشجيعها، وبالتالي تيسير التوغل داخل المنطقة «**لقد كان لهجرة الريفيين نحو الجزائر مظهر سياسي مهم، حيث كانت تعتبر وسيلة من وسائل التهدئة، ووسيلة للحد من المشاكل الاجتماعية لبعض المناطق، بحيث، كان إرسال الريفيين نحو الجزائر، يعني توفير مدخول للعديد من الأسر، وهذا ما يشكل صمام أمان ناجع بالمناطق المضطربة.**»

أوكلت للمهاجر الريفي أعمال شاقة، كالاجتثاث والحصاد والجني، لكن الظرفية الصعبة التي مر ويمر منها جعلته يغض الطرف عن مشقة العمل من أجل توفير أي مبلغ يعينه هو وعائلته على أعباء ومصاريف العيش والذي لن يتأتى له إلا إن اقتصد في مصاريفه أقصى ما يمكن لادخار بعض الدراهم، حيث كانت وجباتهم مكونة من مواد بسيطة، باستثناء يوم الأحد، الذي كان مخصصا لشراء اللحم على اعتباره يوم عطلة .

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

اختزنت الذاكرة المحلية بين طيات المقاطع الشعرية ذكريات قاسية لهاته الهجرة، سواء المتعلق منها بحسرة الآباء على غياب الأبناء، أو بالعكس، تعطش الأبناء والزوجات لرؤية الأب أو الزوج .في هذا الصدد، وقعنا على مجموعة من المقاطع الشعرية التي قام بجمعها الباحث جمال أبرنوص، والتي عملت على تقريبنا قدر الإمكان من الواقع المعاش إبان تلك الفترة .

عانت العديد من الأمهات، خلال الفترة المدروسة، من حسرة غياب أبنائهن الذين طال مقامهم في الجزائر .وكان ضمن المهاجرين من كان المعيل الوحيد لعائلته، وبغيابه، عانت أسرته الأمرين. وعند العودة إلى الوطن اصطدم الكثير منهم بالواقع الكارثي المتمثل في الفقر المضقع الذي آلت إليه أسرهم.

خلاصة

تظافرت عوامل عدة أرغمت، إن صح التعبير، ساكنة الريف على مغادرة موطنهم وطرق أبواب مناطق أخرى لتوفير لقمة العيش . وكانت المنطقة التي قصدها أغلب الريفيين هي الجهة الشرقية، ونعني بذلك الجزائر، صحيح أن هذه الهجرة كانت سابقة للفترة الاستعمارية، غير أن التواجد الاستعماري بالريف ساهم بشكل فعال في الرفع من نسبتها، علاوة على إحداث تغيير في خصائصها، حيث كانت الهجرة، قبل تواجد المستعمر، هجرة موسمية.

لكن مع دخول المستعمر إلى المنطقة، أضحت هجرة دائمة بالنسبة للعديد من الأسر الريفية . حقيقة أن العوامل الطبيعية المتمثلة في توالي سنوات الجفاف على المنطقة كان لها دور في ذلك، لكن السبب الرئيسي يرجع إلى السياسة الاستعمارية، والتي ساهمت بشكل كبير في هذا التحول الجذري والجوهري، عبر الانتقال من الهجرة الموسمية خلال فترات الحصاد إلى هجرة دائمة في السياق ذاته، كانت الهجرة الداخلية هي الأخرى تعود لفترة سابقة على تواجد المستعمر، لكن الإجراءات التي طبقها هذا الأخير في الميدان الفلاحي، والتي انتزع بموجبها الأراضي الصالحة للزراعة من أيدي الساكنة بوسائل وطرق متعددة وإعطائها للمعمرين، شكل اللبنة الأساس لهاته الهجرة، والتي عززتها الوضعية المزرية التي عرفتها المنطقة والمتمثلة في توالي سنوات الجفاف والقحط، وما واكبها من انتشار المجاعة والأوبئة والأمراض، الشيء الذي أجبر الأسر الريفية على الفرار بجلدها من الجحيم الذي آلت إليه منطقة الريف، والتوجه صوب المناطق الداخلية الخاضعة للحماية الفرنسية، والتي كانت تعرف أوضاعا، لن نقول جيدة، لكنها أقل حدة من التي كانت تعاني منها المناطق التابعة لإسبانيا، وذلك في إطار هجرة دائمة.

ولم تشمل هذه الهجرة المنطقة الخاضعة لإسبانيا فقط، بل شملت أيضا المنطقة المحسوبة على المستعمر الفرنسي، والذي مارس عنفا أقل ما يمكن أن يقال عنه بأنه وحشي، خاصة بعد تأسيس جيش التحرير، حيث لم يفرق بين الرجال والنساء والأطفال وحتى الشيوخ، الشيء الذي فرض انتقال العديد من الأسر، كما أسلفت الذكر، من مناطق الحماية الفرنسية صوب المنطقة التابعة لإسبانيا، مما يبين بالواضح والملموس الدور المحوري للمستعمر في التحولات التي عرفتها منطقة الريف.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

لائحة المصادر والمراجع

بالعربية

- **ابن منظور** .لسان العرب المجلد التاسع .دار صادر. بيروت
- **الورياشي، العربي** .(1976) .الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول :سيدي محمد أمزيان وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة، ثم الإسبان .تطوان :المطبعة المهدية.
- **باندو، خوان** .(2013) .التاريخ السري لحرب الريف) .س .الشعيري، ترجمة .(الدار البيضاء :مطبعة النجاح الجديدة.
- **بلفور، سيباستيان** .(2016) .العناق المميت من حرب الريف إلى الحرب الأهلية الإسبانية) .ع .عزوزي، ترجمة .(الطبعة الأولى . الرباط :دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- **لخواجة، محمد** .(2007) .جيش التحرير المغربي 1956-1951 مذكرات للتاريخ أم للتمويه .الطبعة الأولى .الرباط :دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- **فورنو، روبرت**) .بدون تاريخ .(عبد الكريم أمير الريف .ترجمة فؤاد أيوب .دار دمشق للطباعة والنشر، سوريا.
- **عياش، جرمان**) .بدون تاريخ .(أصول حرب الريف) .م .البزاز وع .التمسماني خلوق، ترجمة .(الرباط :الشركة المغربية المتحدة.

بالفرنسية

- **Molieras, Auguste.** (1895). Le Maroc inconnu, Première partie: exploration du Rif. La Librairie Coloniale et Africaine.

المقالات

بالعربية

- **أزيزا، ميمون .(2015)** .هجرة أهل الريف إلى الجزائر بين قساوة الطبيعة وعنف الاستعمار .(1856-1956) في ندوة العنف في تاريخ المغرب، تنسيق عثمان المنصوري ومحمد ياسر الهلالي، منشورات ملتقى الطرق.
- **أونيا، محمد** .(1998) .مفهوم الريف المغربي .في مجلة حوليات الريف، العدد الأول، الدار البيضاء :مطبعة النجاح الجديدة.
- **جدي، مراد** .(2017) .هجرة الريفيين المغاربة نحو الجزائر على عهد الاحتلال الفرنسي :دوافعها خصائصها وتأثيرها السوسيوثقافي .في كتاب الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية الجزائرية، الجزء الثاني، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

- **زروالي، علال** .(1999) .الهجرة من الريف الشرقي نحو الجزائر .في حوليات الريف، العدد الثاني، الحسيمة.

بالفرنسية

- **Aziza, Mimoun.** (2011). L'émigration dans le Rif marocain: une approche historique. In Les migrations marocaines, visions croisées à travers le Détroit, Universidad de Murcia, España. En Bokbot, M.; Cebrian, A.; Faleh, A.; Serrano J. Ma (Coord.), p. 27.

الأطاريح الجامعية

- **بالعربية**

- **أبرنوص، جمال** .(2013-2014) .الشعر التقليدي بمنطقة الريف) .رسالة دكتوراه غير منشورة .(جامعة محمد الأول وجدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

- **بالفرنسية**

- **Bossard, Raymond.** (1978). Mouvements migratoires dans le Rif Oriental: le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador. Thèse de 3e Cycle pour le doctorat, géographie. Université Paul Vallery – Montpellier II.

الروايات الشفهية

- **إدريس المحاسني**، رواية شفوية، تاريخ الإستماع، .2018-05-26
- **اموح الدرازي**، رواية شفوية، تاريخ الإستماع، .2018-04-08
- **محمد المحاسني** رواية شفوية، تاريخ الإستماع،2018-05-26
- **محمد شجاع**، رواية شفوية، تاريخ الإستماع،.2018-05-26
- **محمد العمارتي**، رواية شفوية، تاريخ الإستماع، .2018-05-26

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -